



**مواقف ووقفات**

**سنان زاهد محمد صالح**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**مواقف ووقفات**

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، المبعوث لتشريع الملة وتوجيه الخطاب، وإيضاح الأحكام من المباح والمندوب، والمحظور والمفروض، والواجب والاستحباب، والآمر بأدائها بالالتزام والإيجاب، فالصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ أما بعد:

نتعرض في حياتنا إلى الكثير من المواقف التي نحكم عليها بغير حقيقتها، ونحكم على ظاهرها بحكم ما، ولكن حكم الشرع وموقف القرآن الكريم منها يكون مختلفًا عن حكمنا فيها ورؤيتنا لها؛ لهذا أمرنا الله بحسن الظن، والتبين من حقيقة الأمر قبل الحكم عليه.

وهذه أمثلة على بعض هذه المواقف...

**الباحث/ سنان زاهد محمد صالح الحسيني**

**9 تموز 2019**

# الموقف الأول

مريم العذراء... عندما أنجبت عيسى عليهما السلام:

كان حكم الناس عليها بالزنا!

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا \* يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: 27، 28].

ولمعرفة الله بخَلقه وبأخلاق اليهود، أمرها ألا تكلمهم بكلمة واحدة، وإنما تشير ليكلموا من كان في المهد:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [مريم: 29].

موقف الناس: استنكروا فعلها وجوابها، فكان حكم الله واضحًا حاسمًا يكف ويقطع أقوالهم إلى يوم القيامة:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا \* وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: 30 - 33].

# الموقف الثاني

أمنا عائشة... عندما اتهمت بحديث الإفك، انقسم الناس إلى فريقين وثلاثة أصناف؛ لأن المجتمع الإسلامي أرقى وأسمى المجتمعات.

الصنف الأول: هم المنافقون وتولاه كبيرهم (عبدالله بن أبي بن سلول)، وهم كفار في الدرك الأسفل من النار؛ كما وصفهم الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: 145].

والصنف الثاني: العوام الذين يخوضون مع الخائضين دون تمييز، وقد حذرهم الله من ذلك: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: 11].

والصنف الثالث: الصفوة من الأخيار؛ حيث قالوا: ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾ [النور: 12]، ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ \* يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: 16 - 18].

قال ابن كثير: "هذا تأديب آخر بعد الأول الآمر بظن الخير؛ أي: إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى ينبغي الظن بهم خيرًا، وألا يشعر نفسه سوى ذلك، ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك وسوسة أو خيالًا، فلا ينبغي أن يتكلم به؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل))؛ [أخرجاه في الصحيحين]، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾؛ أي: ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام، ولا نذكره لأحد ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾؛ أي: سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة ورسوله وحليلة خليله.

ثم قال تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا ﴾؛ أي: ينهاكم الله متوعدًا أن يقع منكم ما يشبه هذا أبدًا؛ أي: فيما يستقبل؛ فلهذا قال: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾؛ أي: إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه، وتعظمون رسوله صلى الله عليه وسلم، فأما من كان متصفًا بالكفر فذاك حكم آخر، ثم قال تعالى: ﴿ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ﴾؛ أي: يوضح لكم الأحكام الشرعية والحكم القدرية، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾؛ أي: عليم بما يصلح عباده، حكيم في شرعه وقدره.

وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: 19]: هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئًا من الكلام السيئ، فقام بذهنه شيء منه وتكلم به"؛ [انتهى من تفسير ابن كثير، ط: العلمية].

وجاء في تفسير الوسيط: "ثم وجه سبحانه المؤمنين إلى الطريق الذي كان يجب عليهم أن يسلكوه في مثل هذه الأحوال فقال: ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾ [النور: 12]، و(لولا) حرف تحضيض بمعنى (هلا) والمراد بـ(أنفسهم) هنا: إخوانهم في الدين والعقيدة.

أي: هلا وقت أن سمعتم أيها المؤمنون والمؤمنات حديث الإفك هذا ظننتم بأنفسكم؛ أي: بإخوانكم وبأخواتكم ظنًّا حسنًا جميلًا، وقلتم: هذا الحديث الذي أذاعه المنافقون كذب شنيع، وبهتان واضح لا يصدقه عقل أو نقل.

وفي التعبير عن إخوانهم وأخواتهم فى الدين بـ(أنفسهم) أسمى ألوان الدعوة إلى غرس روح المحبة والمودة والإخاء الصادق بين المؤمنين، حتى لكأن الذي يظن السوء بغيره إنما ظنه بنفسه.

ويقتضي ألا يصدق مؤمن على أخيه قول عائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أن المؤمن إذا سمع مقالة سوء فى أخيه أن يبني الأمر فيه على ظن الخير، وأن يقول بناء على ظنه: هذا إفك مبين، هكذا باللفظ الصريح ببراءة أخيه، كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال، وهذا من الأدب الحسن، ومعنى ﴿ بِأَنْفُسِهِمْ ﴾: أي: كأن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات هذا الأمر على أنفسهم، فإذا كان ذلك يبعد عليهم، قضوا بأنه فى حق من هو خير منهم أبعد... ولقد فعل المؤمنون الصادقون ذلك؛ فها هو ذا أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقوله الناس فى عائشة رضي الله عنها؟ قال: نعم، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا، والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك... وهكذا المؤمنون الأطهار الأخيار يبنون أمورهم على حسن الظن بالناس"؛ [انتهى، تفسير الوسيط].

وقوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [النور: 11] فيها تفصيل كثير:

**1- قد جاء في التفاسير:**

البغوي: "وقيل: هو خطاب لعائشة ولأبويها وللنبي صلى الله عليه وسلم ولصفوان؛ يعني: لا تحسبوا الإفك شرًّا لكم، ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾؛ لأن الله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم".

وفي الوسيط: "وقوله سبحانه: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ... ﴾: تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه المؤمنين الصادقين عما أصابهم من هم وغم بسبب هذا الحديث البالغ نهاية دركات الكذب والقبح.

أي: لا تظنوا أيها المؤمنون أن حديث الإفك هذا هو شر لكم، بل هو خير لكم؛ لأنه كشف عن قوي الإيمان من ضعيفه، كما فضح حقيقة المنافقين وأظهر ما يضمرونه من سوء للنبي صلى الله عليه وسلم ولأهل بيته وللمؤمنين، كما أنكم قد نلتم بصبركم عليه وتكذيبكم له أرفع الدرجات عند الله تعالى".

2- أنزل الله به حكمًا عظيمًا لإثبات واقعة الزنا، والحكم على من افترى كذبًا ولم يأت بشهود بعقاب شديد بالإضافة إلى عذاب الآخرة: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: 4]، ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النور: 6]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: 23].

3- أنزل الله حكمه بالزناة من المحصنين وغير المحصنين؛ ليكون عقابًا رادعًا لتطهير المجتمع: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: 2، 3].

4- أمر الله الناس بكف ألسنتهم عن الخوض بالأعراض بغير دليل ولا بينة، وكذلك بقية أمور الحياة؛ كقوله جل جلاله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: 6].

5- تبرئة وتزكية أمنا عائشة وعرض نبيه صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة من كل كذب وفرية؛ لأن الله يعلم غيب السماوات والأرض، ويعلم أن هناك من سيخوض بعرض نبيه من الكفار والمنافقين حتى لو لم تقع حادثة الإفك.

6- تمييز الكاذبين ممن يدعون الإسلام وحب آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة.

7- كما جاء بالتفاسير في الفقرة الأولى، فهو أجر وثواب ممتد لأمنا عائشة إلى يوم القيامة من الخائضين بالإفك والسب ولا يقتصر على من خاض به في زمانه، وكذلك تزكية وأجر لكل المؤمنين الذين ينكرون هذا الفعل ويتأذون منه.

هذا بعض الخير في حادثة الإفك ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [النور: 11]، والله أعلم بما خفي منه.

فهذا كان موقف المنافقين، وموقف المؤمنين، وحكم الله.

# الموقف الثالث

عمار بن ياسر رضي الله عنه:

فضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على بقية العباد:

روى الإمام أحمد (3589) بسند جيد عن عبدالله بن مسعود قال: ((إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد؛ فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه)).

وقال الميموني: قال لي أحمد بن حنبل: "يا أبا الحسن، إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام"؛ [انتهى من البداية والنهاية (8/ 148)].

فحب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان، وبغضهم من النفاق، وخاصة أكابرهم الذين نشروا العلم والدين، وكان من هؤلاء الصحب الكرام: عمار بن ياسر رضي الله عنه وعن أبيه وأمه، وقد عذب هو وأبوه وأمه في الله عذابًا شديدًا:

روى ابن ماجه (150) عن عبدالله بن مسعود قال: ((كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس))؛ [حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه].

وعن عمر بن الحكم قال: "كان عمار يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكذا صهيب، وفيهم نزلت: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ [النحل: 41]".

روى الترمذي (3799) عن حذيفة قال: ((كنا جلوسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم؛ فاقتدوا باللذين من بعدي - وأشار إلى أبي بكر وعمر - واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه))؛ [صححه الألباني في صحيح الترمذي].

قال المباركفوري في (تحفة الأحوذي، 10/ 204): "والهدي... السيرة والطريقة، والمعنى: أي: سيروا سيرته واختاروا طريقته"؛ انتهى.

روى النسائي (5007) عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ملئ عمار إيمانًا إلى مشاشه))؛ [صححه الألباني في صحيح ابن ماجه].

قال المناوي رحمه الله: "يعني: اختلط الإيمان بلحمه ودمه وعظمه، وامتزج بسائر أجزائه امتزاجًا لا يقبل التفرقة، فلا يضره الكفر حين أكرهه عليه كفار مكة بضروب العذاب وفيه نزل: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ [النحل: 106]؛ قال في الفتح: وهذه الصفة لا تقع إلا ممن أجاره الله من الشيطان الرجيم"؛ [انتهى من فيض القدير (6/ 4)].

من هذا يتبين فضل الصحابة وعدم إنكار أقوالهم وأفعالهم ومنهم عمار بن ياسر.

مات ياسر رضي الله عنه من شدة العذاب، وأغلظت امرأته سمية رضي الله عنها القول لأبي جهل، فطعنها في قبلها بحربة في يديه فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام، وشددوا العذاب على عمار رضي الله عنه بالحر تارة، وبوضع الصخر الأحمر على صدره أخرى، وبغطه في الماء حتى كان يفقد وعيه، وقالوا له‏:‏ لا نتركك حتى تسب محمدًا، أو تقول في اللات والعزى خيرًا، فوافقهم على ذلك مكرهًا.

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: ((أخذ المشركون عمار بن ياسر رضي الله عنه فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: كيف تجد قلبك؟ قال: أجد قلبي مطمئنًا بالإيمان، قال: فإن عادوا فعُدْ، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: 106]))؛ [رواه الحاكم].

قال ابن كثير وغيره: "قال ابن إسحاق عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبدالله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسًا من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهان من دون الله، فيقول: نعم، افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم، قلت: وفي مثل هذا أنزل الله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: 106]، فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته".

لم يكن في وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم لآل ياسر شيئًا، وليست لديه القوة ليستخلصهم من الأذى والعذاب، فكل ما يستطيعه صلى الله عليه وسلم هو حثهم على الصبر والثبات، ويذكرهم بما كان من شأن الأمم السابقة كأصحاب الأخدود، الذين كانت تمشط جلودهم بأمشاط الحديد، ويبشرهم الجنة؛ قال صلى الله عليه وسلم: ((صبرًا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة)).

قال ابن حجر: "قال ابن بطال تبعًا لابن المنذر: أجمع العلماء على أن مَن أُكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل، أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته، ولا يحكم عليه بحكم الكفر".

وقال الطبري: "عن ابن عباس قال: فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه، فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم، فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان؛ لينجو بذلك من عدوه - فلا حرج عليه؛ لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم".

بعد أن بينا فضل الصحابة وفضل عمار بن ياسر رضي الله عنه، والأحاديث الواردة به وبإيمانه يتبين لنا صحة موقفه.

وفي هذا موقف الكفار، وموقف عمار، وحكم الله ورسوله:

موقف الكفار: ارتضى الكفار من عمار نيله من الله ورسوله وظنوا أنه كفر.

موقف عمار: ظن عمار أنه أثم؛ لنيله من الله ورسوله وقلبه مطمئن بالإيمان.

موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال له: ((إن عادوا عد))، وبشرهم بالجنة.

ثم أنزل به قرآن يتلى، وهو حكم عام وليس خاصًّا بعمار بن ياسر.

# الموقف الرابع

بلال الحبشي... وصموده أمام جبروت قريش وتعذيبهم له:

أول مؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أوائل الذين أظهروا إسلامهم، وكان ممن عذبوا وألبسوا الحديد ووضعوا في الشمس.

روى ابن سعد عن مجاهد قال: ((أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعمار، وسمية أم عمار، قال: فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه عمه، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأخذ الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد، ثم صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ، فأعطوهم ما سألوا، فجاء كل رجل منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء فألقوهم فيه، وحملوا بجوانبه إلا بلالًا، فلما كان العشي جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية ويرفث، ثم طعنها فقتلها، فهي أول شهيد استشهد في الإسلام، إلا بلالًا فإنه هانت عليه نفسه في الله حتى ملوه، فجعلوا في عنقه حبلًا، ثم أمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين أخشبي مكة، فجعل بلال يقول: أحد أحد))؛ [الطبقات الكبرى لابن سعد، ج: 3، ص: 176].

روى عامر الشعبي أن موالي بلال من بني جمح كانوا يضجعونه على بطنه، ويعصرونه، ويقولون له قل: "دينك اللات والعزى"، وكان الذي يعذبه أمية بن خلف، فيخرج به إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره، ثم يقول: "لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد"، فيأبى بلال ويقول: "ربي الله، أحد أحد، ولو أعلم كلمة أحفظ لكم منها لقلتها"، فمر أبو بكر الصديق بهم، فاشتراه منهم لما أيسوا أن يردوه عن دين الإسلام.

وقال ابن كثير: "ولهذا اتفق العلماء على أنه يجوز أن يوالي المكره على الكفر؛ إبقاء لمهجته، ويجوز له أن يستقتل، كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل، حتى أنهم ليضعون الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر، ويأمرونه أن يشرك بالله، فيأبى عليهم وهو يقول: أحد أحد، ويقول: والله لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها، رضي الله عنه وأرضاه".

روى ابن سعد عن عروة بن الزبير قال: "كان بلال بن رباح من المستضعفين من المؤمنين، وكان يعذب حين أسلم ليرجع عن دينه، فما أعطاهم قط كلمةً مما يريدون، وكان الذي يعذبه أمية بن خلف"؛ [الطبقات الكبرى لابن سعد، ج: 3، ص: 175].

روى ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال: "كان بلال إذا اشتدوا عليه في العذاب قال: أحد أحد، فيقولون له: قل كما نقول، فيقول: إن لساني لا يحسنه"؛ [الطبقات الكبرى لابن سعد، ج: 3، ص: 175].

قال الزبير بن العوام: "مر أبو بكر الصديق يومًا ببلال بن رباح، وهو يعذب، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين، حتى متى؟ قال: أنت أفسدته، فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به، قال: قد قبلت، قال: هو لك، فأعطاه أبو بكر غلام ذلك وأخذ بلالًا فأعتقه"؛ [سيرة ابن هشام، ج: 1، ص: 318].

**أيهما أفضل: الرخصة أم العزيمة؟**

قال ابن بطال: "أجمع العلماء أن من أكره على الكفر فاختار القتل أنه أعظم أجرًا عند الله ممن اختار الرخصة".

وقال ابن كثير في تفسيره: "والأفضل والأولى: أن يثبت المسلم على دينه، ولو أفضى إلى قتله".

فالأفضل الصبر والتحمل، وأما الرخصة فثابتة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال أبو الحسن المباركفوري: "وهذا يدل على أنه ينبغي اختيار الموت والقتل دون إظهار الشرك، وهو وصية بالأفضل والعزيمة، فإنه يجوز التلفظ بكلمة الكفر والشرك عند الإكراه؛ لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ [النحل: 106]".

"إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه"، وفي كل خير.

موقف الكفار، موقف بلال، وحكم الشرع:

موقف الكفار: عذب الكفار بلال للنيل منه حتى أيسوا منه ولم ينالوا منه بغيتهم.

موقف بلال: ثبت على عقيدة التوحيد والإيمان، وأبى أن يعطيهم شيئًا مما طلبوه، بل نال منهم بثباته وتحديه لهم، وإغاظتهم بقوله كلمة التوحيد: "أحد أحد".

موقف الشرع: في ذلك فقه يتراوح بين العزيمة والرخصة.

# الموقف الخامس

فتنة خلق القرآن وموقف الإمام أحمد بن حنبل:

إن هذه المحنة التي وقعت وعصفت وعمت بلاد المسلمين جميعًا - لم يصمد فيها سوى الإمام أحمد، وقد جلد وعذب وألقي في ظلمة السجون.

وإن هذه الفتنة كانت في باب العقيدة في صميم الأمة، وكان المعتزلة وراءها، واستطاع بعض أهل الاعتزال؛ مثل: بشر المريسي، وأحمد بن أبي دؤاد وغيرهما خداع ثلاثة خلفاء عباسيين متتاليين: المأمون، والمعتصم، والواثق، وجعلهم يتبنون هذه العقيدة الفاسدة المليئة بالبدع والضلال، ويجبرون الناس عليها بالقوة.

وهذه المحنة لم يصمد فيها سوى الإمام أحمد بن حنبل، أما باقي العلماء فأغلبهم قد أجاب فيها خوفًا أو كرهًا، ومن صمد أمام الفتنة ولم يجب، مات تحت التعذيب وفي سجون المبتدعة؛ مثل: البويطي، ومحمد بن نوح، ونعيم بن حماد، وكان صمود الإمام أحمد أعظم فصول هذه المحنة، وسبب القضاء عليها وانتهائها، ولو قدر الله عز وجل ولم يصمد الإمام أحمد في هذه المحنة لضل خلق كثير، ولربما الأمة كلها، والله أعلم؛ لذلك قال المزني رحمه الله: "عصم الله الأمة بأبي بكر يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة".

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية [سنة ثمان عشرة ومائتين، ج: 14، ص: 207، ط: هجر]:

"في هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن، وأن يرسل إليه جماعة منهم إلى الرقة، ونسخة كتاب المأمون إلى نائبه مطولة قد سردها ابن جرير، ومضمونها الاحتجاج على أن القرآن محدث وليس بقديم، وعنده أن كل محدث فهو مخلوق، وهذا أمر لا يوافقه عليه كثير من المتكلمين ولا المحدثين... والمقصود أن كتاب المأمون لما ورد بغداد قرئ على الناس، وقد عين المأمون جماعة من المحدثين ليحضرهم إليه؛ وهم: محمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، فبعث بهم إلى المأمون إلى الرقة فامتحنهم بالقول بخلق القرآن، فأجابوه إلى ذلك وأظهروا موافقته - وهم كارهون - فردهم إلى بغداد وأمر بإشهار أمرهم بين الفقهاء، ففعل إسحاق بن إبراهيم ذلك، وأحضر خلقًا من مشايخ الحديث والفقهاء والقضاة وأئمة المساجد وغيرهم، فدعاهم إلى ذلك عن أمر المأمون، وذكر لهم موافقة أولئك المحدثين له على ذلك، فأجابوا بمثل جواب أولئك موافقة لهم، ووقعت بين الناس فتنة عظيمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم كتب المأمون كتابًا ثانيًا إلى إسحاق يستدل فيه على القول بخلق القرآن بشبه من الدلائل لا تحقيق تحتها ولا حاصل لها بل هي من المتشابهات، وأورد من القرآن آيات هي حجة عليه لا له، وقد أورده ابن جرير بطوله، وأمره أن يقرأ ذلك على الناس، وأن يدعوهم إليه وإلى القول بخلق القرآن، فأحضر إسحاق بن إبراهيم جماعة من الأئمة؛ وهم: أحمد بن حنبل، وقتيبة، وأبو حسان الزيادي، وبشر بن الوليد الكندي، وعلي بن أبي مقاتل، وسعدويه الواسطي، وعلي بن الجعد، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وابن الهرش، وابن علية الأكبر، ويحيى بن عبدالحميد العمري، وشيخ آخر من سلالة عمر كان قاضيًا على الرقة، وأبو نصر التمار، وأبو معمر القطيعي، ومحمد بن حاتم بن ميمون، ومحمد بن نوح الجنديسابوري المضروب، وابن الفرخان، والنضر بن شميل، وابن علي بن عاصم، وأبو العوام البزاز، وأبو شجاع، وعبدالرحمن بن إسحاق وجماعة... ولما انتهت النوبة إلى امتحان أحمد بن حنبل، فقال له: أتقول إن القرآن مخلوق؟

فقال: القرآن كلام الله، لا أزيد على هذا.

فقال له: ما تقول في هذه الرقعة؟ فقال: أقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11].

فقال رجل من المعتزلة: إنه يقول سميع بأذن بصير بعين، فقال له إسحاق: ما أردت بقولك: سميع بصير؟ فقال: أردت منها ما أراده الله منها، وهو كما وصف نفسه، ولا أزيد على ذلك، فكتب جوابات القوم رجلًا رجلًا، وبعث بها إلى المأمون.

وكان من الحاضرين من أجاب إلى القول بخلق القرآن مصانعة مكرهًا؛ لأنهم كانوا يعزلون من لا يجيب عن وظائفه، وإن كان له رزق على بيت المال قطع، وإن كان مفتيًا منع من الإفتاء، وإن كان شيخ حديث ردع عن الإسماع والأداء، ووقعت فتنة صماء ومحنة شنعاء وداهية دهياء، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم، وأمر النائب إسحاق بن إبراهيم الكاتب، فكتب عن كل واحد منهم جوابه بعينه، وبعث به إلى المأمون فجاء الجواب بمدح النائب على ما فعل، والرد على كل فرد، فرد ما قال في كتاب أرسله، وأمر نائبه أن يمتحنهم أيضًا، فمن أجاب منهم شهر أمره في الناس، ومن لم يجب منهم إلى القول بخلق القرآن، فابعث به إلى عسكر أمير المؤمنين مقيدًا محتفظًا به، حتى يصل إلى أمير المؤمنين فيرى فيه رأيه، ومن مذهبه أن يضرب عنق من لم يقل بخلق القرآن، فعقد الأمير ببغداد مجلسًا آخر، وأحضر أولئك وفيهم إبراهيم بن المهدي وكان صاحبًا لبشر بن الوليد الكندي، وقد نص المأمون على قتلهما إن لم يجيبا على الفور، فلما امتحنهم إسحاق بن إبراهيم ثانيًا بعد قراءة كتاب الخليفة، أجابوا كلهم مكرهين متأولين قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَان ﴾ [النحل: 106] إلا أربعة وهم: أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، والحسن بن حماد سجادة، وعبيدالله بن عمر القواريري.

فقيدهم وأرصدهم ليبعث بهم إلى المأمون ثم استدعى بهم في اليوم الثاني فامتحنهم، فأجاب سجادة (الحسن بن حماد سجادة) إلى القول بخلق القرآن، فأطلق قيده وأطلقه، ثم امتحنهم في اليوم الثالث فأجاب القواريري إلى ذلك، فأطلق قيده أيضًا وأطلقه.

وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجنديسابوري على الامتناع من ذلك، فأكد قيودهما وجمعهما في الحديد، وبعث بهما إلى الخليفة وهو بطرسوس، وكتب معهما كتابًا بإرسالهما إليه، فسارا مقيدين في محارة على جمل متعادلين رضي الله عنهما، وجعل الإمام أحمد يدعو الله عز وجل ألا يجمع بينهما وبين المأمون وألا يرياه ولا يراهما.

واستجاب الله سبحانه دعاء عبده ووليه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فلم يجتمعوا بالمأمون وردوا إلى بغداد، وسيأتي تمام ما وقع من الأمر الفظيع في أول ولاية المعتصم بن الرشيد، وتمام الكلام على ذلك في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل، عند ذكر وفاته في سنة إحدى وأربعين ومائتين، وبالله المستعان"؛ [ج: 14، ص: 217].

"تولى المأمون الخلافة... سنة ثمان وتسعين ومائة، واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر، وقد كان فيه تشيع، واعتزال، وجهل بالسنة الصحيحة... أما كونه على مذهب الاعتزال؛ فإنه اجتمع بجماعة منهم بشر بن غياث المريسي، فأخذ عنهم هذا المذهب الباطل، وكان يحب العلم، ولم يكن له بصيرة نافذة فيه، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل، وراج عنده الباطل، ودعا إليه وحمل الناس قهرًا عليه، وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته"؛ [ج: 14، ص: 231].

"ولم يتُب من ذلك حتى أدركه أجله وانقضى عمله، وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يتب منه... وأوصى أخاه أبا إسحاق المعتصم... أن يعتقد ما كان يعتقده أخوه المأمون في القرآن، وأن يدعو الناس إلى ذلك، وأوصاه بعبدالله بن طاهر، وإسحاق بن إبراهيم، وأحمد بن أبي داود القاضي (وهم من المعتزلة)، وقال: شاوره في أمورك كلها ولا تفارقه... ثم أوصاه بالعلويين خيرًا، أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وأن يواصلهم بصلاتهم في كل سنة.

وعلى يديه (أي: المعتصم) جرت فتنة الإمام أحمد بن حنبل، وضرب بين يديه كما سيأتي بسط ذلك في ترجمة أحمد عند ذكر وفاته في سنة إحدى وأربعين ومائتين، إن شاء الله وبه الثقة"؛ [انتهى من البداية والنهاية].

يقول أ.د. عبدالحليم عويس: "وفعلًا مضت الأمور في عهد المعتصم على غرار عهد المأمون... وسيق الإمام ثانية مكبلًا بالأصفاد والأغلال إلى المعتصم الذي أمر بأن يوضع الإمام في سجن مظلم ثمانية وعشرين شهرًا، وأن يُهان ويُعذَّب ويُنكَّل به أي تنكيل.

وأقبل عام 232 هجرية، وأذِن الله للغمة أن تنقشع فمات الواثق بدوره، وولي على أمور المسلمين رجل مسلم عادل هو (المتوكل).

ولقد اقتنع المتوكل منذ توليته بآراء الإمام أحمد، وأيقن أن القرآن ليس بمخلوق، فما كان منه إلا أن دعا إليه الإمام أحمد، ومكنه من رقبة (أحمد بن أبي داؤد) ذلك الذي كان يحث المأمون، ثم المعتصم، ثم الواثق - على إيذاء الإمام والتنكيل به، بيد أن الإمام عفا عنه لوجه الله تعالى"؛ [انتهى من قصة الإمام أحمد بن حنبل في الدفاع عن عقیدته، للأستاذ الدكتور عبدالحلیم عویس على شبكة الألوكة في 1/ 7/ 2019].

حدث في المحنة... قال أبو غالب بن معاوية: ضرب أحمد بن حنبل بالسياط في الله، فقام مقام الصديقين في العشر الأواخر من رمضان سنة عشرين ومائتين.

قال أحمد: "لست أبالي بالحبس؛ ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلًا بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط"، فبإسناد عن عبدالله بن أحمد بن حنبل أنه كان يقول: "كنت كثيرًا أسمع والدي أحمد بن حنبل يقول: رحم الله أبا الهيثم، فقلت: من أبو الهيثم؟

قال: أبو الهيثم الحداد لما مدت يدي إلى العقاب وأخرجت للسياط، إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا، قال: أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق، وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا؛ فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين.

الخلاصة:

موقف المخالفين: تبني الفكر المنحرف للمعتزلة وأن القرآن مخلوق، وإجبار الناس عليه ونشر الضلال والفتنة.

وموقف من سايروا دعاة الفتنة وأقروا بأن القرآن مخلوق؛ خوفًا من البطش، متأولين موقف عمار بن ياسر رضي الله عنه وقول الله عز وجل: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَان ﴾ [النحل: 106]، اللهم نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

موقف الإمام أحمد بن حنبل: وفقه الله بالصمود في وجه هذه الفتنة وتصدى لها حتى انتهت على يده؛ فنجت الأمة من الضلال، وحق الحق على يده.

وكان موقف الإمام أحمد هو الصحيح؛ لأنه يخص العقيدة عامة وليس موقفًا شخصيًّا.

# الموقف السادس

والي الموصل (بدر الدين لؤلؤ) و(العزيز بن الناصر يوسف الأيوبي) أمير حلب ودمشق حفيد صلاح الدين الأيوبي، اللذان تحالفا مع التتار ضد الدولة العباسية لإسقاطها:

أرسل والي الموصل (بدر الدين لؤلؤ) فرقة لتشارك جيش التتار في إسقاط بغداد، وكذلك أمير حلب ودمشق (العزيز بن الناصر يوسف الأيوبي) أرسل فرقة أخرى لتشارك جيش التتار في إسقاط بغداد.

كانت هاتان الفرقتان الإسلاميتان هزيلتين، وليس لهما أي قيمة بالنسبة للجيوش التترية، واهتم هولاكو بوضع مراقبة لصيقة على هذه الفرق الإسلامية الموجودة داخل الجيش التتري؛ خوفًا من الخيانة، وكان عمر والي الموصل (بدر الدين لؤلؤ) في حينها على أقل تقدير ثمانين عامًا، وفي بعض الروايات مائة، وإن (بدر الدين لؤلؤ) مات بعدها بشهور قليلة.

الموقف العام والاستعدادات لكلا الطرفين: التتار والخلافة العباسية:

طلب (هولاكو) من وزير للخليفة العباسي المستعصم بالله (مؤيد الدين بن العلقمي الشيعي) أن يقنع الخليفة بتخفيض ميزانية الجيش، وأن يقلل من أعداد الجنود، وأن يصرف أذهان الدولة عن قضايا التسليح والحرب، وتحويل بقية الجيش إلى الأعمال المدنية في مجالات الزراعة والبناء وغيرها؛ لكيلا يثير حفيظة التتار، فيظهر لهم أنه رجل سلام وليس رجل حرب، ولا يشكل خطرًا على التتار، وفعلًا أقنع الوزير الشيعي (ابن العلقمي) الخليفة ووافقه على ذلك، وخفض ميزانية الجيش وقلل أعداد الجنود، حتى أصبح الجيش العباسي الذي كان يبلغ عدده مائة ألف فارس - أصبح عشرة آلاف فارس فقط.

وأصبح الجنود في حالة مزرية من الفقر والضياع حتى إنهم كانوا يسألون الناس في الأسواق، وأهملت التدريبات العسكرية، وفقد قواد الجيش أي مكانة لهم، ولم يعد يذكر من بينهم من له القدرة على التخطيط والإدارة والقيادة.

أما جانب التتار، فقد استعدوا لهذه الحرب أيما استعداد، وخططوا لها بدقة، وجيشوا الجيوش والتحالفات، ووظفوا لها خيرة قادتهم وجيوشهم وأسلحتهم، وتقدمت الجيوش التترية نحو بغداد وعليها أن تقطع مسافة 1000 كم في عمق الأراضي الإسلامية حتى تصل إلى بغداد، ومع ذلك فقد قطع القائد التتري (بيجو) بجيشه 95 بالمائة من الطريق؛ أي: حوالي 950 كم دون أن تدري الخلافة العباسية عنه شيئًا، وباغت الخلافة العباسية على بعد 50 كم منها، وكذلك فعل (هولاكو) شمال غرب بغداد.

وظهر جيش التتار فجأة أمام أسوار بغداد الشرقية، ونصب معدات الحصار الثقيلة حول الأسوار، وأحاطت كذلك جيوش التتار لتحيط بالمدينة من الناحية الجنوبية، فارتاع الخليفة لذلك وعقد اجتماع عاجل وجمع فيه كبار مستشاريه وعلى رأسهم (مؤيد الدين بن العلقمي)، وكان من رأيه مهادنة التتار وإقامة مباحثات سلام، فلا مانع عنده من بعض التنازلات، وكان رأيه هو السلام غير المشروط مع التتار.

وبعث رجلين ليديرا المفاوضات مع التتار وهما (العلقمي الشيعي) الذي يكن في قلبه كل الحقد والغل على الخلافة العباسية، وأرسل معه (متيكا) بطريرك بغداد النصراني المتحالف سرًّا مع التتار، فكان الوفد الرسمي الممثل للخلافة الإسلامية العباسية العريقة للمفاوضات مع التتار لا يضم إلا رجلين فقط، ودارت المفاوضات السرية بينهم للإطاحة بالخلافة العباسية.

ولا يخفى على أحد الجرائم والمجازر التي فعلها التتار عند دخول بغداد، وقتل خيرة علمائها، وتدمير مكتباتها واستباحتها.

نعود لموقف والي الموصل (بدر الدين لؤلؤ) و(العزيز بن الناصر يوسف الأيوبي) أمير حلب ودمشق حفيد صلاح الدين الأيوبي، اللذين تحالفا مع التتار ضد الدولة العباسية:

موقف المؤرخين والتاريخ: الخيانة العظمى لدينهم وللخليفة والخلافة العباسية، وتعاونهم مع أعداء الإسلام.

موقف والي الموصل ووالي حلب ودمشق:

كانا يعرفان جيدًا عدم قدرة الخليفة على إدارة شؤون البلاد والعباد، وضعف شخصيته واستماعه بل انقياده لتوجيهات (ابن العلقمي)، وأنه سيتسبب بسقوط الخلافة العباسية، كما يعلمان ما سيفعله التتار عند دخولهم بغداد وأخبارهم التي لا تخفى على أحد؛ فاختاروا أهون الشرين بمهادنة التتار، وإرسال فرقتين هزيلتين لا قيمة لهما ليضمنوا ثلاثة أمور مهمة:

أولًا: الحفاظ على أرواح الناس.

ثانيًا: الحفاظ على أعراضهم.

ثالثًا: الحفاظ على أموالهم وممتلكاتهم.

وكذلك معرفتهم بعدم قدرتهم على مواجهة جيوش التتار الجرارة، فكان لهم ذلك، فلم يدخل التتار الموصل ولم يستبيحوها.

والقاعدة: أن الأشد يزال بالأخف، وبعضهم يعبر بقوله: يختار أهون الشرين، الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف، يدفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما، تحتمل أخف المفسدتين لدفع أعظمهما، إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررًا بارتكاب أخفهما، وأقوال أخرى، والقاعدة واحدة وإن اختلف التعبير"؛ [المصدر من مقال: الحكم إذا تعارضت مفسدتان د. سالم جمال الهنداوي، شبكة الألوكة].

"وإذا اضطر الإنسان إلى شيء ما، ولا يستطيع تحقيقه إلا بارتكاب ضررين أحدهما أعظم من الثاني - فإن عليه أن يرتكب أخفهما ضررًا، وأحسن من تكلم عن ذلك الإمام عز الدين بن عبدالسلام في كتابه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) وكتابه الآخر (القواعد الصغرى)، والإمام الشاطبي في الموافقات، والقرافي في الفروق وغيرهم؛ [إسلام ويب، رقم الفتوى: 9435].

# العبرة مما تقدم من المواقف

هناك العديد من المواقف التي ذكرت في القرآن والسنة، وقد ذكرت بعض هذه المواقف التي تبين مدى الاختلاف بين الظاهر والواقع.

ويعج التاريخ بالعديد من هذه المواقف التي يحكم بها على غير واقعها، ويختلف ظاهرها عن باطنها، وفيها يتباين حكم الناس، وحكم من كان بالموقف، وحكم الله والشرع.

وفي زماننا هذا يخوض الجهال في أمور الدين وأصحاب الأهواء والعقول الصغيرة دون دراية، ولا علم، ولا رأي سديد.

فما أحوجنا للاستفادة من هذه الأمثلة؛ لكيلا نحكم على الظواهر، ولا نكون من العوام الذين يخوضون مع الخائضين، ونكون مع الصفوة الأخيار، ونوزن المواقف والأمور بميزان الشرع.

نسأل الله من فضله ومنته الهداية والتوفيق.

**بقلم/ سنان زاهد محمد صالح الحسيني**

**9 تموز 2019**

**المحتويات**

[**الموقف الأول 5**](#_Toc24578779)

[**الموقف الثاني 6**](#_Toc24578780)

[**الموقف الثالث 9**](#_Toc24578781)

[**الموقف الرابع 12**](#_Toc24578782)

[**الموقف الخامس 14**](#_Toc24578783)

[**الموقف السادس 18**](#_Toc24578784)

[**العبرة مما تقدم من المواقف 21**](#_Toc24578785)